نظمي وذووه

Nazhmy et sa famille .

طلب في هذه المجلة (٨ : ٣٥٠) صاحبها حضرة الاب ان اكتب ما يزيد في تراجم البيت الذي نمق عنه بعنوان « بيت عراقي قديم » الاستاذ عباس العزاوي بحثاً طويلا توالى نشره في عدة اجزاء من المجلة في السنة الماضية فما لي إلّا ان انزل على رغبة حضرته لبيان النزر القليل الذي عثرت عليه بعد ابداء بعض الملاحظات اذ اني لا ارى بأساً في مجاذبة الاستاذ اطراف الحديث بهذا الشأن مع شكري اياه على سعيه المحمود في زيادة وقوفنا على احوال هؤلاء الافاضل .

الملاحظات

قال الاستاذ (ص ١١٩) : « اول ماعرفت (هذه الاسرة) — نظراً الى ما وصل الينا — من سفر الفه احد افرادها وهو عهدي البغدادي ابن شمسي البغدادي . و [صاحب] هذا الكتاب عرفنا آباءه واقاربه ومكانة اسلافه وازال الغشاوة عن ظنون كانت تحوم حول تحقيق امره هو امر اكبر مؤرخ عراقي(١) أي مرتضى افندي آل نظمي المعروف عند الترك بنظمي زاده فان هذا الكتاب ازال الابهام عن مرتضى افندي بتعريف نظمي افندي واتصاله بهذا المؤلف فصحح كليمان هوار الفرنسي واقوال الصديق يعقوب نعوم سركيس وغيرهما » اه

ثم قال (ص ٢٧٥) : « ان المؤرخين — نظراً لما عرف واشتهر من احوال مرتضى المؤرخ العراقي — حاولوا ايضاح ماخفي من اصل اسرته فتضاربت اراؤهم في البحث عنه وكلها لم تتعد الحدس والتخمين فهي ظنون واوهام . » اه وقد اورد ترجمة نظمي عن نسخة « كاشن شعرا » التي بيده واشار الى ان نظمي متأخر عن عهدي فلا يمكن لكاشن شعرا — وهو لعهدي — ان يترجم نظمي فرأى (ص ١٢٣) ان في الكتاب مغمزاً — وقد صدق وسيجيء البحث عنه — لكنه ارتأى ان ما في كاشن شعرا صحيح وعال ذلك .

١) الواجب ان يقيد فيقال : في وقائع العراق الحادثة في عصر آل عثمان كمعهو الواقع لئلا يذهب الى انه اكبر مؤرخ عراقي على الاطلاق وهو ليس كذلك .

قلت : والتصحيح الذي قصده العزاوي هو ان اسم والد مرتضى ليس بالسيد علي (ص ٢٧٩) وانه يظن ان مرتضى لم يذهب الى الاستانة (ص ٤٣٢) لسبب اورده اما ما كنت قد جئت به فاني ارجعته الى مصدره (راجع ٧ : ٢٣٥) وهو « ما وصل الينا » . ولي كلام على والد مرتضى والسيد علي يأتي :

ومما لاحظه قول الاستاذ (ص ١١٩) : « وان كانت (هذه الاسرة) تسمى في الاول بآل شمسي البغدادي ثم بآل نظمي البغدادي ... » لا يتفق مع الواقع اذ ان نظمي سبط لعهدي كما قال العزاوي (ص ٢٧٥) فهما اسرتان فلا بد ان كلا منهما كانت تدعى باسمها وليس هذا ادعائي زعماً مجرداً فقد اورد الاستاذ خلال كلامه نصاً يناقض ماسبق له فانه قال (٣٤٧) نقلا عن تذكرة سالم الذي كان من رجال ذلك العصر : « انهما — اي حسين افندي ومرتضى افندي — من ادباء بغداد ... اشتهرا بنظمي زاده ... » اتخذا اسمهما لقباً لهما . اه

فاذا كان حسين ومرتضى في زمان حياتهما مشتهرين بنظمي زاده . فلا نرى وجهاً لتلك التسمية اي ان بيتهما كان يدعى يوماً بآل شمسي في حين ان يدنا خالية مما تستند اليه في تأييد قول الاستاذ . وهذا كاف ليجعلنا في حل من الشك في صحة رده (ص ٤٣٩) على عنوان المجد للحيدري من انه وقع في غلط لتمييزه بين « بيت نظمي زاده » و « بيت عبد الله افندي المفتي بن مرتضى افندي » اذ عدهما بيتين لا بيتاً واحداً . والظاهر ان دليل العزاوي ان عبد الله افندي هو ابن مرتضى افندي ابن نظمي هو القول الذي رآه منقولا من نزهة المشتاق من ان « عبد الله افندي هو ابن مرتضى افندي » فحسب . او لا يمكن ان يكون مرتضى هذا غير ذاك ؟ وليس هناك ترجمة لمرتضى نظمي زاده تعرفنا بأولاده ولا نص يفصح عن ان عبد الله هو ابن مرتضى بن نظمي ليرتفع كل ريب وتزول كل شبهة .

ومما قاله الاستاذ (ص ٢٧٨ — ٢٧٩) ان نظمي « لم يذهب الى بلاد الاناضول » فآخذ هو ار على ذلك . قلت : اما كلشن خلفا (الورقة ٧٢) (١)

١) اعول على المطبوع .

فانه يقول في كلامه عن هذه الايام : « ... اكثر اصحاب غيرت وارباب ديانت اختيار هجرروم .. » ثم يقول : « بدر مرحوم دخي اول ايامده برقاج كون اختفا بعده ترك مال ومنال ومفارقت يار وديار ايدوب ... حافظ احمد باشا .. استخلاص بغداد ايجون عراقه تكرار عزيمت وامالده عنان ايتدكده ... (بدروم) اوردولرينه رهياب وملاقات شريفه لرى ايله مستطاب اولوب بو قصيده غرا ايله ... حسب حالارينى بيان ايتمشلردر . » اه . ثم يقول ايضاً (الورقه ٧٣) : « بعده باشاى مشار اليه [ايله] (١) روم جنت رسومه هجرت واكرجه كرفتار آلام غربت اولمشلردر (٢) لكن نيجه وزرا وميرميرانه مقارنت ايله تحصيل سروسامان وتسليه بخش دل پريشان اولمشلردر . » اه . وملخص كلامه هو : « فاختار ارباب الغيرة والاتقياء الهجرة الى الروم . (هنا بمعنى الاناضول)(٣) واختفى والدي في ذلك الزمن بعض الايام ثم ترك ماله ومنالـه وفارق الاصدقاء وغادر الديار فسار الى جيش حافظ احمد باشـا وقد عاد الى العراق لانقاذ بغداد فطابت نفس والدي بملاقاته فانشد قصيدة غراء وبعده هاجر الى الروم مع الباشا . وما اكثر الوزراء والميرميرانية الذين رافقهم ... » اه . فكان اذن على هوار ان يقول ان نظمي سافر الى آسية الصغرى وقد فعل فاصاب . ان اقامة نظمي في الرها لا تنفي سفره الى الروم اذ يمكن انه بعد ان ذهب الى هناك عاد الى الرها فاستقر فيها . هذا وان كان يجوز — من باب الاحتمال — ان يقال لعل صاحب كاشن خلفا اراد بالروم توسعاً الرها وانهـا من بلاد الجزيرة لكن لا تثريب على هوار على كل حال من الاحوال فقد قال كاشن خلفا « الروم » وقال هوار « آسية الصغرى » وهي الاناضول والكل واحد وهو اشهر من ان يذكر

(١) هذه الاداة ليست في المطبوع انما في مخطوطي وبدونها لا يستقيم المعنى لما في العبارة التاليـة من الكلام الذي لا يمكن اطلاقه الا على نظمي ولا يمكن لصقه بالباشـا فان فيه ما كان ملازماً لنظمي من امر الهجرة وآلام الاغتراب (٢) ويذكر مخطوطي بعد هذا الكلام ما لا تجده في المطبوع من ان عودة نظمي الى بغداد كانت في سنة ١٠٥٤ هـ (١٦٤٤ م) ويذكر ذلك مرة اخرى كما سيأتي في احدى الحواشي .

(٣) وراجع قاموس الاعـلام لشمس الدين سامي ومعجمه التركي وكذلك معجم بروكلمان التركي الفرنسي .

والكتب العربية لاتعرف اصطلاحاً آخر .

❀❀❀

ومما قاله الاديب (ص٢٧٧) ما يلي : « فحمد (نظمي) الله على الرجوع مع امه ولم يكن معهما احد وكان هاجر عنه (هاجر من وطنه بغداد) بزي درويش ناسك ومن ثم صار له من الاهل والعيال والاولاد ... » اه . ثم نقد كلام هوار بما قوله (ص ٢٧٨) : « وحين عودته (عودة نظمي) الى بغداد لم يكن معه اولاد أو احفاد نظراً للصراحة بذلك من انه رجع مع والدته فحسب. وبهذا انتفى ما في تاريخ كليمان هوار . » اه .

قلت ان الذي عندي ان هوار كان مصيباً وقد قال كاشف خلفا (الورقة ٨٠ وما يليها) في اخبار حسن باشا لولايته الثانية على بغداد (من سنة ١٠٥٢ الى سنة ١٠٥٤ اي من ١٦٤٢ الى ١٦٤٤) مانصه :

« بدر مرحوم دخى تلك وتنها ترك يار وديار محروسه رهاده قرار ايتمش ايكن بو ايام خير انجامده(١) — الحمد لله الملك الجواد — اولاد واحفاد (٢) وفي الجملة برك وبار ونظام معتاد كيرو عودت بغداد ايدوب شاكر اولمشدر. »اه وهذا مضمون كلامه : « اذ كان والدي ايضاً قد ترك الاصدقاء وغادر الديار وحيداً منفرداً فاقام في الرها فانه في هذه الايام المنتهية بخير عاد راجعاً الى بغداد ومعه اولاد وحفدة ... » اه . فلم ينتف اذن كلام هوار بشأن رجوع نظمي مع اولاد وحفدة . واذ قد انبأنا العزاوي بان نسخة كاشف شعرا التي عنده

١) (٢) اما رواية مخطوطي لكاشف خلفا — وهي نسخة قديمة كما اشار اليها العزاوي — فتختلف بعض الاختلاف عن المطبوع ولا سيما انها تذكر الاولاد دون الحفدة فانها تقول : « ... رهاده قرار ايتمش ايكن بين اللي درت تاريخنده (١٠٥٤ اي ١٦٦٤) — الحمد لله الملك الجواد —« اولاد » وفي الجملة نظام حال ايله كيرو بغداده عودت ايدوب ... » اه . ولعل كلمة « احفاد » سقطت من المخطوط او اضيفت الى نسخة المطبوع لتحلية السجع . والمخطوط صحيح العبارة والكتابة او اقرب الى ذلك من المطبوع .

فيها مغمز (١) فليس علينا ان نعتمد عليها كل الاعتماد ولا سيما اورد المؤدى ولم ينقل النص ولا التعريب الحرفي زيادة «في اطمئنان القلب» . ومهما يكن من هذا الامر علينا ان نرجع على مصدره حكاية كاشن خلفا . كيف لا ومؤلفه بلا ريب ابن نظمي نفسه وهو اعلم باسرته من غيره من كل الوجوه مع دراية واسعة .

❀❀❀

وقال العزاوي (٢٧٥) عن نظمي انه محمد نظمي وقال (ص ٢١٩) : « ولم يكن اسمه (اسم والد مرتضى) السيد علي بخلاف ما جاء في سجل عثماني عن مرتضى انه ابن السيد علي . فهذا غير صواب منه . » وازيد على ذلك انه سيأتي ذكر لاحدهم اسمه نظمي — كان لحفدته وجاهة في بغداد — لم تنبأ بانه

١) في خزانة ويانة (فهرستها ٢ : ٣٧٩) نسخة من كاشن شعرا . وفي فهرست المخطوطات التركية للمتحفة البريطانية (ص ٧٦) ان فيها نسخة من الكتاب تحوي اربع روضات وزيادات اضيفت الى الاصل الذي كان قد انجز في سنة ٩٧١ هـ (١٥٦٣ م) وان فيها ما يشير الى سنة ١٠٠١ (١٥٩٢) وقال صاحب الفهرست فهي تختلف عن نسخة ويانة لما فيها من الاهمال والاضافات الكثيرة . قلت والظاهر انها كالنسخة التي يملكها العزاوي . وكانت نسخة المتحفة من مجموعة مخطوطات المستر ريج الذي كان مقيماً بريطانياً في بغداد وقد اشترى فيها نفائس من المخطوطات .

وهنا يجدر بي ان انبه ان ما وقفت عليه هذه المجلة (٨ : ١٢٠ ح) عن سنة قدوم عهدي الى الاستانة نقلا عن كشف الظنون لطبعته الافرنجية قد انتبه اليه واضع فهرست المتحفة البريطانية فغلط ما رآه في كشف الظنون القائل قدوم عهدي الى الاستانة في سنة ٩٢٠ (١٥١٤) واستصوب ما جاء في كاشن شعرا من ان قدومه اليها كان في سنة ٩٦٠ (١٥٥٢) كما نراه في طبعة الاستانة وكما رآه العزاوي في نسخته لكاشن شعرا فراجعه لنا هنا (ص ١٨٧) مغلطا طبعة كشف الظنون الافرنجية فكان هناك توارد الخواطر بينه وبين واضع فهرست المتحفة

سيد وزمنه يتفق مع زمن والد مرتضى فهل هو بذاته ونفسه ؟ فان صح ذلك كان برهاناً جديداً على صحة قول العزاوي ان هذا البيت ليس بعلوي انما لا يسمني ان لا التفت الى سماع ما مر بنا من كلامي (٧ : ٥٢٣) نقلا عن فهرست مخطوطات وعن « سجل عثماني » الذي يقول كان نظمي شاعراً بغدادياً . ثم يقول : « نظمي مرتضى افندي (هكذا بدون « زادة » بين الاسمين) فهل سقطت الكلمة في الطبع ؟ فان لم يكن فهل والد نظمي اسمه السيد علي فضاع الامر فقيل ان السيد علي هو والد مرتضى ؟ وينتج من هذا التردد فالتساؤل وجوب المثابرة على تحري حكماً يفرض بين الجانبين بصحة رأي احدهما والذي اعتقده ان البت في الامر لا تقوم به نسخة لكاشن شعرا فيها غميزة وكذلك لا يجزم به ذكر نظمي جداً لحفدة قلنا لهم وجاهة في بغداد . ولست وحدي في هذه الشكوك فللاستاذ العزاوي ايضاً مثلها فانه رأى (ص ٥١٤) ان عبد الله افندي المفتي — الذي قال عنه انه من هذا البيت — ينعت بسيد في « الحديقة » وفي مجموعة الآلوسي عن النزهة فارجأ البت في امره الى « ان يتجلى المبهم » مع ابدائه رأيا .

جامع الخاصكي ونظمي وابنه مرتضى

ومما قاله الاديب ايضاً (ص ٢٧٨) مايلي : « وقد ذكر له [لنظمي] ابنه مرتضى تاريخاً منظوماً في جامع السلحدار محمد بك » . اه وهو يريد بذلك جامع السلاحدار محمد باشا الذي شيده مع مئذنة له لكنه لم يتمه . وهذا الجامع هو الذي لايزال معروفاً بجامع الخاصكي الواقع برأس القرية وقد ذكر كاشن خلفا (الورقة ٨٧) الباشا بهذه الشهرة في مطلع ايام ولايته . (١)

١) ومما قاله كاشن خلفا ان السلاحدار محمد باشا بنى جامعاً ومنارة بقرب مرقد الشيخ محمد الازهري وبينما كان على اهبة تعيين اوقافه وتبيين خدامه وما يحتاج اليه عزل فبقي الجامع مهجوراً لنقص جزئي فجاء في سنة ١٠٧٧ (١٦٦٦) الوزير اوزون (الطويل) ابراهيم باشا فعمر فيه بعض التعمير ورممه فبدئ بالجمعة فيه . ثم عين في سنة ١٠٧٩ (١٦٦٨) الوزير قره (الاسود) مصطفى باشا لخدام الجامع وظيفة [راتباً او ماضاهاه] من المال الاميري . وفي سنة ١٠٩٤

واذ قد ورد في مباحث هذه السنين ذكر السلاحدار (١) محمد باشا والسلاحشور (٢) محمد بك فلا بد من الوقوف على تعيين من اراده العزاوي من هذين الرجلين ولا سيما ان لنظمي تاريخاً في الجامع المذكور وتاريخاً لابنه مرتضى . وهذا نص ماقاله كاشن خلفا (الورقة ٩٠) في اخبار هذا الوالي : « تكليف آصفي ايله تاريخنه بو مصراع بلاغت نشان بدر مرحومك رقمزده كلك بيانلرى اولمشدر : التاريخ : جامع نور سلحدار محمد باشا سنة ١٠٦٩ » اه (١٦٥٨) . ومعنى ذلك ان والدي قال هذا المصراع في تاريخ الجامع على تكليف الوالي . وقال ما مؤداه ان كلمة نور تشير الى « ابي النور » كنية الباشا التي كان يكنى بها حينما كان والياً في مصر . واما ابيات صاحب كاشن خلفا في اتمام الجامع حينما انجزه السلاحشور المار الذكر فمنها ما هو هذا وفيه التاريخ :

[١٦٨٢] قدم الى بغداد السلاحشور السلطاني محمد بك لشؤون الحكومة وكان قد ربي بنعمة السلاحدار محمد باشا فعمر في الجامع تعميراً بديعاً . فكان كامل البناء ونقش فيه نقوشاً ذهبية وكتب فيه كتابة ياقوتية (وفي الاصل : « نقوش ذهبي وكتيبه ياقوتي » ولا بد انه اراد بالالوان اذ لا ذهب فيه ولا ياقوت ولم نسمع بوجودهما فيه) وزاد وقفه وخدامه .

١) او سلحدار المركبة من العربية والفارسية اي صاحب السلاح او القابض عليه . قال كانتمير Cantimir (كتابه الفرنسي في تاريخ الدولة العثمانية المطبوع في باريس سنة ١٧٤٣ في المجلد الاول في باب شرح الكلمات الغريبة) : « سلاحدار اغا : تاقل سيف السلطان ورئيس حرسه والسلاحدار احد الحرس . » اه . وذكرت معلمة الاسلام وظائف « سلاحدار اغا » ومما قالته ان السلاحدارية كانوا فرقة من الفرسان يقال لرئيسها سلاحدار اغا .

٢) او السلحشور كذلك تركيب عربي فارسي ومعناه الحرفي المتمرن على السلاح وفي قاموس شمس الدين سامي التركي ان السلاحشورية هم الرجال المسلحون بالبنادق في خدمة السلطان من ابناء الخارج [اي خارج الاستانة] .

واصل رحمت رحمان محمد باشا والیء دار السلام ایکن اوذات اعلا
سعی و اخلاص ایله بو جامعی قلدی بنا لکن اتمامنه حون ایتمدی عمری ایفا
اوسلاحشور شهنشاه محمد بك انك یعنی برورده سی خیراتنی قلدی احیا...
ومنها : براداً ایلمدیدی بیرفرد تاریخن جامع النور ابو النور محمد باشا (١٠٩٤ـ ١٦٨٢) .

وملخص كلامه ان محمد باشا حينما كان والياً في دار السلام سعى فبنى هذا الجامع لكن عمره لم يمتد ليتمه (١) فجاء محمد بك سلاحشور السلطان الذي هو صنيع الباشا فاحيا خيراته ... وتاريخه « جامع النور ابو النور محمد باشا ». اه ويظهر صريحاً من نتيجة ذلك ان الرجل الذي قيل فيه ذلك البيت الذي ذكره العزاوي هو السلاحدار محمد باشا ولم يكن اذ ذاك قد تدخل في أمر الجامع السلاحشور محمد بك الذي لم يشتهر الجامع به يوماً من الايام . اذن ليس بين هذين الرجلين من هو السلاحدار محمد بك انما هو السلاحدار محمد باشا وهناك صنيعه السلاحشور محمد بك . وقد خلد مرتضى صاحب كلشن خلفا في ابياته المذكورة اسمي المشيد ومحيي خيراته .

ديوان نظمي

وظن العزاوي (ص ٢٧٩) مما نقلته عن هوار انه قال ابقاء الايام لديوان نظمي وتمنى لو انه اطلعنا على محل وجود نسخة منه . اما هوار فلم يقل بوقوفه على الديوان انما قال كما ذكرته (٧ : ٥٢٢) : « وتجد من نظمه (نظم نظمي) ما نقله ابنه مؤلفنا [مؤلف كلشن خلفا] عن ديوانه او عن مجموعة قصائده ... » اه . فذلك استخراج لهوار كما ان في كلشن خلفا (الورقة ٧٣) قصيدة لنظمي جاء في ما يليها من الكلام بانها مثبتة في ديوان قائلها وهناك غيرها .

والذي وقفت عليه في الفهرست لدي كرد مانش في مخطوطات شيفر ان في الطبعة الافرنجية لكشف الظنون (٦ : ٥٧٤) ذكراً لديوان نظمي زاده مرتضى .

١) ولم تكن وفاته في اثناء البناء بل عزل وكان ذلك في سنة ١٠٦٩ (١٦٥٨) (كلشن خلفا الورقة ٩٠) فعين والياً لحلب ثم استدعي الى الاستانة وقتل فيها في سنة ١٠٧١ (١٦٦٠) (عن سجل عثماني وتاريخ راشد ١ : ١٣) فكأن الناظم كان يؤمل أن الباشا سيتم البناء ولو كان بعيداً عن بغداد .

ويبين لمن يراجع الكشف ان ذكر الديوان ليس في صميمه بل في الملحق المسمى « آثار نو » لحنيف زاده احمد طاهر المتوفى في سنة ١٢١٧ (١) (١٨٠٢) والصراحة لاتجوز لنا الشك في ان الديوان لغير مرتضى هذا ولا سيما انه ذكر سنة وفاته قريبة من التي ذكرها هامر Hammer. ولكن هل في ذلك غلط صحيح انه لنظمي كما غلط في امر كتاب جامع الانوار الذي سيجيء الكلام عليه (٢) . ومما جعلنا في الشك ان حنيف زاده لم ير نسخة من الديوان فانه لم يورد اوله كما جرى عليه اقتفاء بصاحب كشف الظنون في الكتب التي نظر فيها . وكما قلنا هل في نسبته للديوان الى مرتضى غلط ايضاً وانه لنظمي ؟

يعقوب نعوم سركيس

---

١) كان محمد طاهر بن رفعت البرسوي قد نشر في سلانيك في سنة ١٣٢٢ (١٩٠٤) رسالة في ترجمة المؤرخ عالي وترجمة كاتب جلبي (الحاج خليفة) ثم نشر في الاستانة في سنة ١٣٣١ (١٩١٢) رسالة اخرى عنوانها « كاتب جلبي » فزاد في ترجمته وجاء فيها (ص ١٦) ذكر وفاة حنيف زاده وقال كانت وقعت بيده مسودة ويشنه زاده محمد مرتي في الوراقة ذيلا على كشف الظنون فزاد عليها فكان كتاب « آثار نو » (اي الآثار الجديدة) وقال البرسوي (ص ١٧) : واحد ذيول كشف الظنون الذيل الذي لشيخ الاسلام عارف حكمت بك المتوفى في سنة ١٢٧٥ (١٨٥٨) وتجد مسوداته — وهي بقلمه — في خزانتي اسماعيل باشا البغدادي وخزانة خالص افندي. ومن ثمرة سعي الباشا مدة ثلاثين عاماً — وهو من افاضل عصرنا الحاضر — انه جمع اسماء مؤلفات بلغت نيفاً وثمانية عشر الفاً فناض عدد اسماء الكتب الواردة في الذيل على ما في الاصل . وقد سمى الباشا كتابه ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون . وقال البرسوي وللباشا كتاب اسماء المؤلفين واثار المصنفين من صدر الاسلام الى زماننا وفيه كناهم واسماء مؤلفاتهم وهو يأسف ان الباشا لم يوفق لطبع كتابيه ونحن نشاركه في الاسف ونتمنى ان لا يبقيا في الزوايا ولاسيما تخاف ضياعهما (٢) وبالنظر الى هذه الاغلاط يجوز ان نرجح ماذكره هامر من ان سنة وفاة نظمي زاده مرتضى هي سنة ١١٣٦ (١٧٢٣) على ماذكره حنيف زاده وسجل عثماني من ان وفاته كانت في سنة ١١٣٣ (١٧٢٠) .